علاقة إعادة استخدام الفراغ الدّاخلي بالسّلوك الإنساني

*شيرين سبع طبلت**

ملخص

يدرس هذا البحث العلاقة بين إعادة استخدام الفراغات الدّاخلية من قِبل المصممين أو حتى من المستخدِمين للمبنى وبين سلوكيات ونفسيات مستخدِمي هذه الفراغات، ويفترض الباحث وجود علاقة بين إعادة استخدام الفراغ الدّاخلي التي تتعلق بحاجة المستخدِم وثقافته والبيئة التي يعيش فيها وبين سلوكه في الفراغ، الأمر الذي يؤول إلى عكس هذا التّصميم والسّلوك على المجتمع ككل بجميع فئاته من الصّغير حتّى الكبير ولِكِلا الجنسين الذّكر والانثى على حدٍّ سواء. فيمكن أن يكون تأثيره إيجابي مثل نشوء مجتمع مبدع ومبتكر أو سلبي مثل نشوء مجتمع متطرّف يسوده العنف، وقد أَثبت الباحث صحة فرضيته بوجود أثر لإعادة استخدام الفراغات على السّلوك الإنساني، وعليه طَرح الباحث استنتاجاته النّهائية والتّوصيات.

الكلمات الدالة: إعادة استخدام، الفراغ الدّاخلي، السّلوك الإنساني، لغة الفراغ، الحيّز الشّخصي، الحيزّ الاجتماعي.

المقدمة

تتوارد على أفكارنا عند عملية التّصميم للفراغ الدّاخلي في معظم الأحيان مقولة المعماري لويس سوليفـان "الشّكل يتبع الوظيفة" Form Follow Function وما تبعها من نشوء مدرسة الوظيفية في العمارة والأثر الذي تركته على مدى عقود من الزّمن. ورغم اتباع بعض المصممين لهذه المدرسة حتّى في هذه الأيام ورغم انتقاد البعض الآخر وابتعادهم عنها إلّا أنّها تتميز بالعقلانية والواقعية ويكاد لا يخلو تصميم حديث منها بشكل عفوي أو مقصود لِما فيهـا من تجنب لمشاكل بعض التّشكيلات الفراغية الغير مستغلّة بشكل يحقق الفائدة والحاجة منها.

إن هذا المفهوم البسيط في التّعبير يحوي في طيّاته المعاني الكثيرة والبلاغة في اختصار منهج واضح ومباشر يحث على ضرورة فهم حاجة الفراغ المراد تصميمه ليلبي الوظيفة المطلوبة، ويوجه المصمم أو المستخدِم للفراغ إلى فهم لغة هذا الفراغ للوصول إلى التّصميم الناجح.

وما لهذا الموضوع من الاثر على سلوك الإنسان على نحو إيجابي أو سلبي، فكان لابدّ من دراسة بعـــض الحالات الواقعية التي تفسر أسباب هذه الاثار. ويلاحظ كثير من المقيمين في مدينة عمّان وباقي المدن الأردنية انتشار هذه الظاهرة في تغيير وإعادة استخدام الفراغات الدّاخلية لعدّة أنواع من المباني مثل الفلل السّكنية ورياض الأطفـال وبعض المخازن التّجارية وحتّى بيوت عمّان القديمة وخاصّة في منطقة جبل عمّان وبالتّحديد شارع الرّينبو المتفرّع من الدّوار الأول. أنظر إلى الأشكال من(1) إلى (8)، فبعض هذه الفراغات تحوّلت من بيوت بسيطة إلى مطاعم أو مقاهي وغيرها. وفي سيـاق هذا التّغيير في الوظيفة لابدّ من وجود أثر ما على سلوكيات الإنسان المار من هذه الأماكن تختلف عنها قبل مرحلة إعادة الاستخدام.

مُشكلة البحث

يكثر في حالات متعددة إعادة لاستخدام الفراغات الدّاخلية للمباني أو حتى جزء منها من قبل المستخدِم لهذا الفراغ أو حتى المصمم الدّاخلي مثل تغير أماكن الأثاث في البيت من مكان لآخر كالتّبديل بين غرفة الطّعام وغرفة الجلوس، أو تحويل بقال إلى صالون حلاقة، أو طابق من فيلا إلى روضة أطفال... ويمكن أن يكون السبب هو مادي أو حاجة ما من التّجديد وتحسين النّفسية والسّلوك، ولكن تكمن المشكلة هنا بعدم وجود فهم للغة الفضاء وسوء استخدام له وعدم استغلاله بشكل صحيح، أو استخدام ألوان وأثاث ومواد بناء تؤثّر على السّلوك الإنساني بشكل إيجابي أو سلبي.

* كلية الفنون والتصميم، الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحث 2015/11/26، وتاريخ قبوله 2016/1/6.

 © 2017 عمادة البحث العلمي وضمان الجودة/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

الشّكل (1): مثال على إعادة استخدام المخازن إلى صيدلية في مدينة عمّان، المصدر (الباحث، 2015)

الشّكل (2): مثال على إعادة استخدام بيوت عمّان إلى روضة اطفال، المصدر (الباحث، 2015)

الشّكل (3): مثال على إعادة استخدام عمارة سكنية إلى دائرة حكومية في مدينة عمّان، المصدر (الباحث، 2015)

الشّكل (4): مثال على إعادة استخدام منزل إلى حضانة في مدينة عمّان، المصدر (الباحث، 2015)

الشّكل (5): مثال على إعادة استخدام أحد طوابق بناية في مدينة عمّان إلى دائرة حكومية، المصدر (الباحث، 2015)

الشّكل (6): مثال على إعادة استخدام منزل قديم إلى مقهى في مدينة عمّان، المصدر (الباحث، 2015)

الشّكل (7): مثال على إعادة استخدام أحد المخازن إلى صالون حلاقة في مدينة عمّان، المصدر (الباحث، 2015)

الشّكل (8): مثال على إعادة استخدام أحد البيوت إلى مطعم في مدينة عمّان، المصدر (الباحث، 2015)

أهمّية البحث

تكمن أهمّية هذا البحث في ضرورة فهم لغة الفراغ الدّاخلي لأي مبنى يراد إعادة استخدامه لكي يتسنى للمستخدِم الاستفادة القصوى منه حتى ينعكس ذلك بسلوك إيجابي يلبي احتياجاته ضمن الإمكانيات المتاحة، فعلى سبيل المثال يمكن لتغيير لون أحد جدران غرفة الجلوس التأثير على النّاظر بالرّاحة أو بالملل والتّوتر بحسب اللون المستخدم ودرجته. فمصطلح إعادة الاستخدام ينطبق على معنى التّجديد والتّغيير في الشّيء.

أهداف البحث

يَهدف هذه البحث إلى الآتي:

1- إثبات وجود علاقة بين إعادة استخدام الفراغ الدّاخلي والسّلوك الإنساني من خلال تحليل بعض الأمثلة الواقعية الحديثة المتنوعة.

2- فهم لغة الفراغ المراد إعادة استخدامه استناداً على احتياجات المستخدِم له والبيئة التي يعيش فيها من خلال جمع وتحليل النّظريات الحديثة حول هذا الموضوع لمساعدة المصمم أو مستخدِم الفراغ الدّاخلي على إعادة الاستخدام الأمثل للفراغ بحيث ينعكس على سلوكه إيجابياً ويلبّي احتياجاته بشكل كامل.

منهجية البحث

إنّ المنهج المُتبع في هذا البحث هو أسلوب تّحليل التّصميم لبعض الأمثلة المختلفة، وكذلك اتباع منهج الوصف الفنيّ والأدبي من خلال جمع المعلومات والنّظريات الحديثة من مصادرها المختلفة من أبحاث وكتب ورسائل جامعية وربطها جميعاً بعضها ومن ثمّ تحليلها بِهَدف إثبات فَرضية البحث، وأخيراً عَرض لأهمّ النّتائج والتّوصيات الّتي خَرج بها الباحث.

فرضية البحث

يَفترض الباحث وجود علاقة بين إعادة استخدام الفراغات الدّاخلية وبين السّلوك الإنساني على مستخدِم هذا الفراغ، فيمكن لهذه العملية أن تؤول إلى الأثر السّلبي على سلوك الإنسان إذا ما كانت طريقة الإعادة بشكل غير مبني على فهم لغة الفراغ، مثل استخدام مواد بناء أو ألوان أو أثاث بشكل غير ملاءم.

تعريفات وُمصطلحات البحث

السّلوك الإنساني Human Behavior: يعرّف (عدس، 1998) السّلوك الإنساني بأنّه كُل الأفعال والنّشاطات التي تصدر عن الفرد سواءً كانت ظاهرة أم غير ظاهرة، وهو نشاط يصدر عن الإنسان سواءً كان أفعالاً يُمكن ملاحظتها وقياسها كالنّشاطات الفسيولوجية والحركية أو نشاطات تتم على نحو غير ملحوظ كالتّفكير والتّذكر والوساوس وغيرها.

ويضيف أن السّلوك ليس شيئاً ثابتاً ولكنه يتغير وهو لا يحدث في الفراغ وإنما في بيئة معينة، وقد يحدث بصورة لا إرادية وعلى نحو آلي مثل التّنفس أو الكحة أو يحدث بصورة إرادية وعندها يكون بشكل مقصود وواعي وهذا السّلوك يمكن تعلّمه. وهو يتأثر بعوامل البيئة والمحيط الذي يعيش فيه الفرد.

والسّلوك نوعان هما (عدس، 1998):

أ. السّلوك الاستجابي Responsible Behavior: هو السّلوك

الذي تتحكم به المثيرات التي تسبقه، فبمجرد حدوث المثير يحدث السّلوك. كما أنّ السّلوك الاستجابي لا يتأثر بالمثيرات التي تتبعه وهو أقرب ما يكون من السّلوك اللا إرادي فهذا السّلوك ثابت لا يتغير وإن الذي يتغير هو المثيرات التي تضبط هذا السّلوك.

ب. السّلوك الإجرائي Operant behavior: هو السّلوك الّذي يتحدد بفعل العوامل البيئية مثل العوامل الاقتصادية والاجتماعية والتّربوية والدّينية والجغرافية وغيرها. كما أنّ السّلوك الإجرائي محكوم بنتائجه فالمثيرات البعدية قد تضعف السّلوك الإجرائي وقد تقويه وقد لا يكون لها أي تأثير يذكر. ونستطيع القول أنّ السّلوك الإجرائي أقرب ما يكون من السّلوك الإرادي.

وتُبيّن (أبو عطية، 1997) خصائص السّلوك بالتّالي:

- القابلية للتنبؤ: حيث أنّ السّلوك الإنساني ليس ظاهرة عفوية ولا يحدث نتيجة للصدفة وإنّما يخضع لنظام معين، أي نستطيع التّنبؤ بسلوك الشّخص بناءً على معرفتنا بظروفه البيئية السّابقة والحالية، وكلّما ازدادت معرفتنا بتلك الظّروف وكانت تلك المعرفة بشكل موضوعي أصبحت قدرتنا على التنبؤ بالسّلوك أكبر، ولكن (الشّناوي، 1994) يرى أنّ هذا لا يعني أننا قادرون على التّنبؤ بالسّلوك بشكل كامل، فنحن لا نستطيع معرفة كلّ ما يحيط بالشّخص من ظروف بيئية سواء في الماضي أو الحاضر.
- القابلية للضبط: إن ضبط السّلوك عادة ما يشمل تنظيم أو إعادة تنظيم الأحداث البيئية الّتي تسبق السّلوك أو تحدث بعده، كما أنّ الضّبط الذّاتي في مجال تعديل السّلوك يعني ضبط الشّخص لذاته باستخدام المبادئ والقوانين التي يستخدمها لضبط الأشخاص الآخرين.
- القابلية للقياس: أي أنّ السّلوك الإنساني معقد لأن جزء منه ظاهر وقابل للملاحظة والقياس والجزء الآخر غير ظاهر ولا يمكن قياسه بشكل مباشر لذلك فإن العلماء لم يتّفقوا على نظرية واحدة لتفسير السّلوك الإنساني، وإذا تعذّر قياس السّلوك بشكل مباشر فمن الممكن قياسه بالاستدلال عليه من مظاهره المختلفة.

وتحدد (أبو عطية، 1997) الأبعاد الرّئيسة للسّلوك بأنّها:

- البعد البشري: أي أن السّلوك الإنساني سلوك بشري صادر عن قوة عاقلة ناشطة وفاعلة في معظم الأحيان وهو صادر عن جهاز عصبي.
- البعد المكاني: أي أنّ السّلوك البشري يحدث في مكان معين، فقد يحدث في غرفة المطعم أو الملعب مثلاً.
- البعد الزماني: أي أنّ السّلوك البشري يحدث في وقت معيّن أو يستغرق وقتاً طويلاً أو ثواني معدودة.
- البعد الاجتماعي: أي أنّ السّلوك يتأثّر بالقيم الاجتماعية والعادات والتقاليد المعمول بها في المجتمع وهو الذي يحكم على السّلوك على أنه مناسب أو غير مناسب، فالسّلوكيات قد تكون مقبولة في مجتمع ومرفوضة في مجتمع آخر.

كيفية تغيير السّلوك

يرى (كوبر وهيرون ونيوارد) (أبو حميدان، 2003) أنّ السّلوك يمكن تعديله وذلك من خلال العلم الّذي يشمل على التّطبيق المنظم للأساليب التّي انبثقت عن القوانين السّلوكية وذلك بغية إحداث تغيير جوهري ومفيد في السّلوك الأكاديمي والاجتماعي، ويعرف إجرائيا بأنّه عملية تقوية السّلوك المرغوب به من ناحية وإضعاف أو إزالة السّلوك غير المرغوب به من ناحية أخرى.

السّلوك والحيّز الشّخصي والحيّز الاجتماعي:

هنالك علاقة بين الحيّز الشّخصي والاجتماعي والسّلوك الإنساني فالمسافات الاجتماعية تقريبية ومتنوعة ومختلفة من شخص لآخر بطبيعة الحال. لكنّها لا تزال أداة عامة وجيدة لقياس السّلوك الإنساني فقد حّددت بأربعة مناطق كالآتي (Hall, 1966) و(Lawson, 2001) أنظر الشّكل رقم (9):

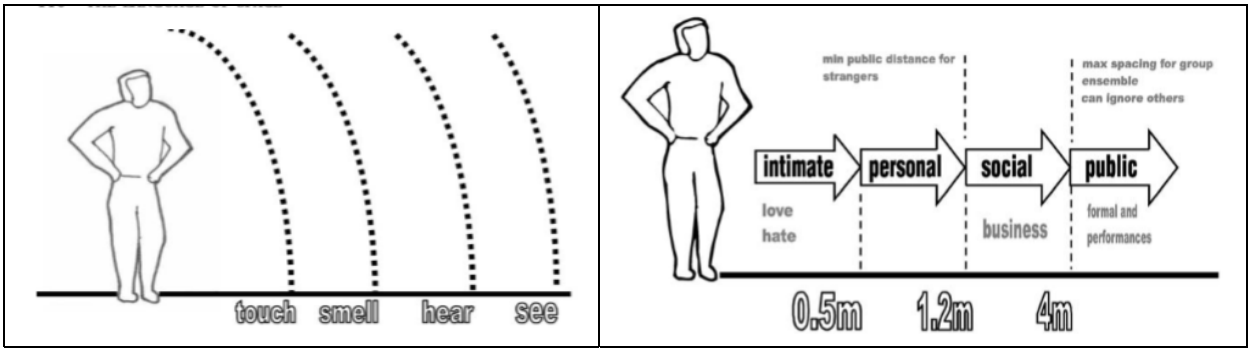

الشّكل(9): المناطق الأربعة للحيز الإنساني، المصدر (Lawson, 2001)

أ) المنطقة العامّة: > 12 أقدام (4m)

وهي منطقة الجمهور عموما أكثر من 12 قدما. فإذا أردنا المشي حول المدينة، سوف نحاول الحفاظ على الأقل 12 قدما بيننا وبين باقي النّاس. وسوف نغادر هذا الفراغ إذا تم اختراق هذه المنطقة. وتسمى هذه العملية بنظرية البعد الاجتماعي حيث نبدأ بإشعار النّاس الآخرين الّذين هم خارج دائرة نصف قطرها 4 أمتار بالابتعاد في حال عدم الرّاحة. وعندما يحدث العكس أي نكون بعيدين عن شخص آخر غريب، نشعر بدرجة من السّلامة منه.

ب) المنطقة الاجتماعية: 4–12 أقدام (1.2 م–4 م)

وداخل هذه المنطقة الاجتماعية، نبدأ بإظهار سلوك آخر يبيّن درجة من الاتصال مع أشخاص آخرين عندما نكون نعرفهم ونثق بهم. ولكن لا يزال هناك حاجة بالاحتفاظ على مسافة آمنة وحدود يمكن من خلالها قياس درجة العلاقة بننا وبينهم. وهذه المسافة مريحة للأشخاص الّذين يقفون في مجموعة ولكن ربما لا يتحدثون مباشرة مع بعضها البعض. مثل شخصين أو أكثر لا يعرفون بعضهم يجلسون في غرفة انتظار فنلاحظ أنّهم اتخذوا مثل هذه المسافة بسبب وضعية الأثاث. أنظر إلى الشّكلين (10–أ) و(10–ب).

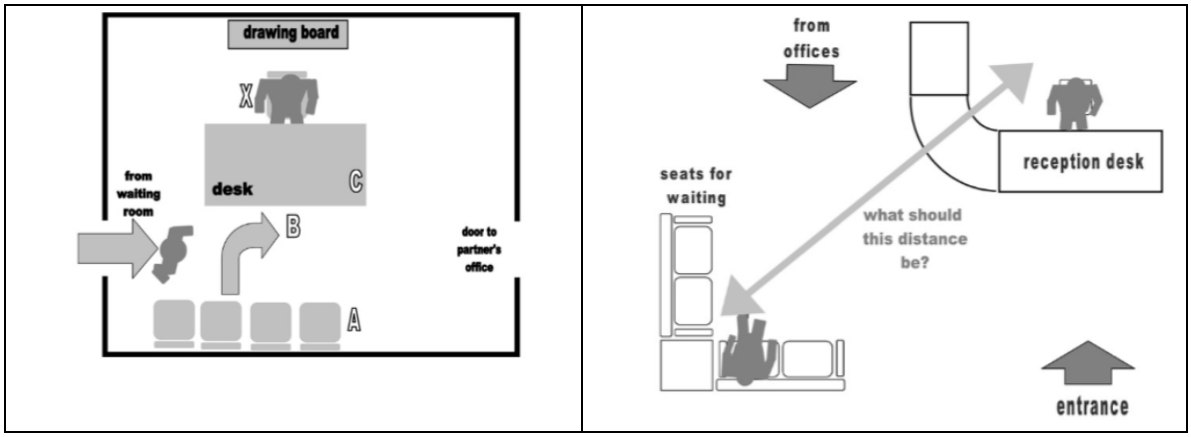

الشّكل (10–أ): الفراغ الدّاخلي وموقع الأثاث يحدد سلوك المستخدم اجتماعيا. المصدر (Lawson, 2001).

ج) المنطقة الشّخصية: 1.5–4 أقدام (0.5 م–1.2 م)

هي منطقة العلاقات الشّخصية مثل المحادثة بشكل خاص ومعزول ومباشر، وهذا هو على مسافة جيدة لاثنين من النّاس الّذين يتحدّثون بجدية عن شيء وهي علاقة صداقة أو صلة قرابة من الدّرجة الأولى.

د) المنطقة الحميمة < أقدام 1.5 (< 0.5 متر)

وهي مسافة يمكن فيها المزيد من التّفاصيل عن لغة الجسد. وهي تعبّر عن أكثر مستويات الثقة مثل العلاقات الرّومانسية. ودخول المنطقة الحميمة لشخص آخر يمكن أن تكون مهدّدة جداً إذا كان شخص غير مرغوب فيه.

وتختلف القواعد حول البُعد الاجتماعي مع مجموعات مختلفة من الناس. ومثال على ذلك السّكان الذين يعيشون في بلدان يقضون مزيد من الوقت قريبين من بعضهم البعض، وحتّى تلك المسافات الاجتماعية قد ضُغطت إلى حدٍ ما. أما في المدن الكبيرة والمزدحمة، فالمسافات سوف تكون أكبر منها في المدن الصغيرة.

ولكن في البلدان الأخرى نجد الأمر يختلف لديها فهنالك قواعد مختلفة حول المسافات الاجتماعية. ففي بعض البلدان الآسيوية اعتادوا على التّحدث مع الآخرين من مسافة قريبة جداً. وإذا شاهدنا شخص ياباني يتحدث في حفلة مع شخص من الريف الغربي. سوف يتقدم الياباني خطوة إلى الأمام وأما الغربي سيتحرك خطوة إلى الوراء. وهي حالة أشبه برقص حول الغرفة.

لغة الفراغ: يفسّر (آل سعيد، 1994) اللغة تصميمياً أنّها التّعبير عن التّصميم وعن ماهيته ونوعيته ووظيفته وأن يُقرأ ذلك التّصميم لدى مشاهدته، والعمل التّصميمي ما هو إلا مجموعة اللغات التّشكيلية والّتي تختلف باختلاف الأنماط التّشكيلية ودلالاتها الرّمزية، فلِكلّ نمط لغة خاصة به، يحتوى على نظام يخاطب الوعي الإنساني الدّاخلي بأشكاله. وفي الوقت نفسه، تُعد اللغة في هذا النّظام عامل الرّبط الأساسي الدّاخلي لبناء الوحدة النّمطية، ومن جهة أخرى ترى (شيرزاد، 1985) أن النّمط والأسلوب هما من المظاهر المهمة، والّتي تكتسب معناها ليس من داخل النّظام نفسه فحسب، بل تخرج لتتألف مع الأنظمة الحسية للمتلقي، أمّا (إبراهيم، 1975)

يفسره بأنّه طراز أو أسلوب كلّ فنان، وهو مجموعة من المعادلات يكوّنها لنفسه من أجل تحقيق عملية التّعبير التي تكشف لنا عن طريقته الخاصة في النّظر إلى العالم. وتتألف المنظومة التّعبيرية من منظومة أشكال ومنظومة معاني، فقد ترتبط المعاني بأي أشكال، وقد تتلائم مع أشكال أخرى.

الشّكل (10- ب): أحد غرف الانتظار تبين توزيع الكراسي وأثرها على سلوك الناس، المصدر (الباحث، 2015).

فهم لغة الفراغ في التّصميم الدّاخلي:

عند البدء بإعادة استخدام الفراغات الدّاخلية للمبنى، فإنه ينتج مجموعة من التّغييرات ويمكن تلخيصها في ثلاث نقاط:

- التّغيير الشّامل للفراغ الدّاخلي وإعادة تشكيله واستخدامه من جديد تبعاً لتصميم المهندس.
- التّغير الجزئي وإعادة تشكيل بعض فراغات المبنى الأصلية من خلال، إعادة تشكيل وترتيب الحيّز الفراغي الدّاخلي للمبنى ليتلاءم مع تطور الوظيفة الّتي كان يشغلها، أو إدخال تعديلات أكثر حتى يتلاءم مع الوظيفة المختلفة عن الوظيفة الأصلية، مع مراعاة استعمال عناصر التّصميم الدّاخلي الملائمة (أثاث، قواطع،... الخ)، واستخدام المؤثرات البصرية الملائمة (اللون، الإضاءة، الملمس).
- عمل بعض الإضافات التّشكيلية بدون المساس بالتصميم الأصلي وغالباً ما تكون هذه الإضافات عبارة عن تجهيزات فنية وكهربية مثل (أنظمة الإضاءة، التّكييف، التّدفئة، الأنظمة الأمنية ...).

عند بدأ المصمم أو الشّخص المستخدم للفراغ في معالجة هذه التّغييرات بصرياً فإنّه يعتمد على مجموعة من المحددات أهم هذه المحددات هي قيمة المبنى سواء المادية أم المعنوية، بالإضافة إلى دراسة الوظيفة الجديدة للمبنى، ويمكن تقسيم المعالجات الّتي من الممكن أن يعتمد عليها المصمم إلى:

- التّطابق: ويطلق عليه في بعض الأحيان النّسخ فهو يعتمد على معالجة التّغيرات، ثم وضعها بنفس التّفاصيل الخاصّة بالمبنى، ويكون من الصّعب التّفرقة بين القديم والجديد، وهنا يجب مراعاة أن تكون الإضافات بنفس مهارة ودقة المبنى الأصلي.
- التّوافق: ويمكن أن يتم عمل هذه التغيرات من خلال توافقها وانسجامها مع عناصر الفراغ الدّاخلي وذلك دون تطابق، وذلك بواسطة الانسجام في الشّكل العام للتفاصيل، والألوان ومواد التّشطيب.
- التّباين: ولقد لقي هذا الاتجاه انتشاراً كبيراً في أوروبا وأمريكا، حيث يتم الاعتماد على التّقنيات المعاصرة في معالجة الفراغات الدّاخلية للمباني مع مراعاة أن يكون التّباين واضح بين عناصر المبنى الأصلية والعناصر المضافة.

ولقد وضع (Hall، 1966) مجموعة من الضّوابط بناءً على دراسات في مجال إعادة توظيف الفراغات الدّاخلية للمباني ذات القيمة، ولا تعتبر هذه الضّوابط قواعد لا يمكن الحياد عنها ولكنها تعتبر بمثابة بعد النّصائح المساعدة في التّعامل مع الفراغات الدّاخلية لهذه النوعية من المباني، ويمكن الملاحظة بأن (Hall، 1966) قد أهتم وركّز كثيراً على مراعاة قيمة المبنى عند محاولة أي تغيير، وهو ما كان يعبر عنه دائماً بتعبيره مراعاة شخصية المبنى المميزة، ومن هذه الضّوابط عدم تغيير المساقط الأفقية وترك الغرف كما هي وبالذات تلك التّي تعطي إحساساً عميقاً بروح وشخصية المبني، وذلك من خلال ثبات

الحجم، الشّكل، النِّسب، العلاقات التّبادلية بين الغرف والممرات، والعلاقات التّبادلية بين العناصر المميزة للفراغ (أثاث وعناصر إضاءة... الخ) وبين فراغ الغرفة نفسه، والاهتمام بالفراغات الأساسية، مع الحرية في التّغير للفراغات الثانوية التي تشمل على الحمامات، المخازن...

إعادة الاستخدام في تصميم الفراغ الدّاخلي:

يبين (البزاز،2001) أن هذه العملية تعد شكلاً مادياً في التّصميم الدّاخلي فهي تخاطب عقل الإنسان ويؤثر على سلوكه. ويتضح من المفردات المرادفة بأنها حالة لإظهار الأمور الخفية في عقل المصمم او المستخدم للفراغ وتعبر عن رغبة وحاجة في نفسه. أي أنها افصاح بليغ مباشر عن فكرة وسلوك لاحق. اذن هو فعل ونتاج فعل، فأن يقوم المصمم الدّاخلي بالتّعبير عن الفرح بالتّصميم مثلاً فذلك فعل، والتّصميم الناتج هو تعبير عن الفرح يحث المتلقي على سلوك الفرح. وهذا ينطبق على أبسط أنواع إعادة الاستخدام واعقدها، فالإنسان لا يتمكن من فهم الأمور إلا من خلال ظواهرها ونتاجاتها وأعراضها فالإدراك الحِسي مرحلة إلى الإدراك الذّهني والمعرفة. أنظر إلى الشّكل (11).

الشّكل (11): إعادة استخدام بعض المباني في شارع الزّينبو في مدينة عمّان أثّر على السّلوك الاجتماعي. المصدر: (الباحث، 2015).

أسلوب إعادة الاستخدام في التّصميم الدّاخلي:

إنّ اسلوب إعادة استخدام الفراغ في التّصميم الدّاخلي هي عملية تخطيط السّلوك الإنساني بعد عملية التّصميم وهي ما تُعرف بالقدرة على المماثلة بين ما نحتاجه كوظيفة للفراغ وبين تأثيره على سلوكنا، وهي القدرة على الرّبط والجمع بين الأشياء أو الأفكار المختلفة، وهذه القدرة تتم بفعل العقل في ادراكه للعلاقات الوظيفية. (البزّاز،2001).

ويمثل نتاج إعادة الاستخدام للفراغ الدّاخلي بمثابة تعبير أو وسيلة إيصال بين المعنى الكلي وبين عقول النّاس. وإنّ ما يحصل في عملية التّعبير يطرحه علم الاجتماع ضمن مفهوم القيمة ومظهرها، فالاحترام مثلاً هو سلوك ذو قيمة وهذه القيمة كليّة، وهذا المظهر يرتبط بالمجتمع المعين وأعرافه، فمثلاً يكون الوقوف عند بعض المجتمعات غير كافٍ للتعبير عن الاحترام بل يعقبه انحناء للرّأس، وفي مجتمعات أخرى يختلف الأمر.

لذا فإن مظهر القيمة وهو يعكس أثر إعادة الاستخدام للفراغ في التّصميم الدّاخلي الّذي نتكلّم عنه وهو مظهر لا يحمل صفة الثّبات الجوهري بل يكتسب ثباتاً نسبياً وفق أعراف مرتبطة بالزّمان والمكان، لكن ما يختلف عمّا سبق في إعادة الاستخدام لفراغ داخلي معين هو أنّ قيمته الجوهرية ليست إنسانية شاملة كالاحترام مثلاً بل هي بحد ذاتها متفردة ومتخصصة لسلوك إنساني معين.

ومن هنا نجد أنّ نتاج إعادة الاستخدام له كيانه المدرك بالسّلوك البشري، أي أنّ له صفاته الخارجية التي يمكن أن تتكرر أو تتصف بالنّمطية أو طرازية ومن ثمّ إدراك نوع من النّسق النّظامي في علاقاتها الظّاهرة، لكنّه متى انتقل إلى ذهن الإنسان فإنه يقوم بفتح آفاق إدراك واستيعاب القيم الكلية الفكرية والمعنوية الجوهرية وبالتّالي يؤثر على سلوكه لاحقا (البزّاز،2001).

ويمكن ايضاح عملية تحليلية لإعادة الاستخدام للفراغ الدّاخلي وفهم لغة الفراغ الدّاخلي وعلاقته بالسّلوك الإنساني في الشّكل (12):

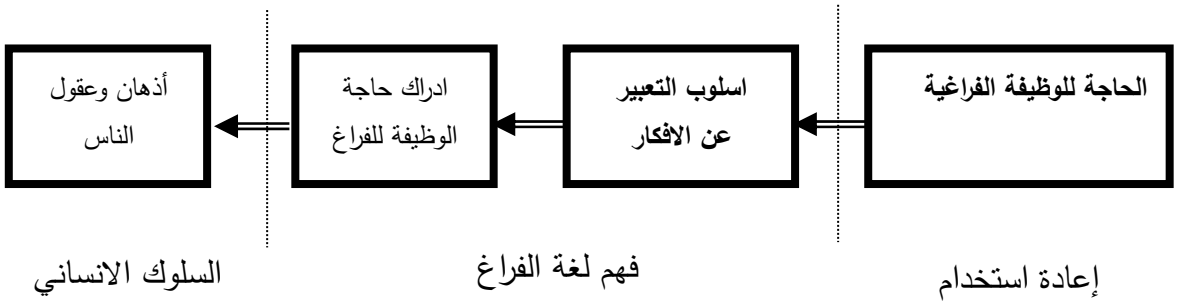

الشّكل (12) إعادة إستخدام الفراغ الدّاخلي والسّلوك الإنساني

تبادلية العلاقة بين إعادة الاستخدام في الفراغ الدّاخلي والسّلوك الإنساني:

لقد ناقشنا فعل ونتاج إعادة الاستخدام الفراغ الدّاخلي والسّلوك الإنساني والآن سنحلل الفراغ الدّاخلي لقراءة لغته ومن ثم إعادة استخدامه من خلال طرح بعض الأمثلة وعلى النّحو التّالي:

أولا تحليل الفراغ الدّاخلي لقراءة لغته وإعادة إستخدامه:

يطرح المعماري valven فكرة قراءة لغة الفراغ المعماري من خلال الثنائي الذي ما يزال يطرح بأساليب شتى وهو مفهوم الشكل الخارجي والمحتوى الضّمني، وبهذا المفهوم تصبح الأشكال في الفراغات الدّاخلية مستقبلات توضع فيها المحتويات الفكرية والمعنوية المعبرة، وإذ أنّ الفراغات الدّاخلية بهذا المنظور تصبح وسيلة، وتصبح مقوماتها الأساسية – أي الفراغ والكتلة والشّكل... – عناصر في نظام له علاقاته ويمكن أن نطلق عليها مصطلح "وسائل أسلوبية" للوصول إلى غاية أبعد هي فكرية ومعنوية (Pearce, 1995). وبهذا المنظور أيضاً فإنّ الفراغات الدّاخلية هي واحدة فقط في مجالات السّلوك البشري التي يظهر بها قراءة الإنسان عن نفسه أو مجتمعه فاللغة الفراغية هي مجال آخر له خصوصيته حسب صيغة إعادة الاستخدام الظاهرة ونوع الحواس المدركة لها وهكذا يمكن أن يظهر ذلك عن قيمه كلية كالتّوحيد مثلاً في الفراغات الدّاخلية (Porphyrios, 1981).

ويتوارد إلى ذهن مستخدم الفراغ أو المصمم سؤال هو هل الفراغ الدّاخلي هو غاية أم وسيلة؟ وللأجابة على هذا السؤال يجيب (Hall، 1966)،بأنّ التّصميم الدّاخلي هو غاية ووسيلة في آن واحد فهو غاية بحد ذاته لأنه يظل يتملّك الصّفة النّفعية التي تجعل منه مكاناً يحتاج أن يأوى إليه الإنسان ليعمل ويرتاح ويواصل حياته الطبيعية. ومع هذا فإنّ الصّفات المعنوية والرّمزية للفراغات الدّاخلية هي أكثر استمرارية من وظائفها النّفعية التي تخضع للتغير عبر الزّمن.

ثانياً: التّحليل بعد إعادة الاستخدام وأثره على السّلوك الإنساني:

يتم تحليل الفراغ الدّاخلي هنا من خلال متغير الزّمن وتحليل سلوك الشّخص المستخدم للفراغ. ففي بعض الأحيان يبدو أنّ الماضي يقيم عمر بعض الفراغات الدّاخلية وهو ما يعطيها الأهمية بدل صفاتها، وقبل تقصي أنواع النّظر إلى الماضي والتّاريخ، يثار السؤال الأتي؟ هل على المصمم الدّاخلي المحلل لتلك الفراغات وواضع مقترح جدي لإعادة استخدامها وتصميمها توقع أثرها الحقيقي في الواقع الحاضر وتقدم مؤشرات المستقبل، وأن يقبل دون تحليل علمي بفرضه إن الفراغات الدّاخلية في حقب معينة كانت تجربة وتمثيلاً للتخبّط بأفكار المصمم سابقاً؟ وهنا يمكن أن نشير إلى النُّظم السّلوكية والاجتماعية قد أُشتِقّت على قواعد التّصميم الدّاخلي للفراغ المعماري.

المصمم الدّاخلي القائم بإعادة الاستخدام للفراغ:

في الوقت الحالي يقوم المصمم الداخلي بصيغ الممارسة المهنية المعروفة بفعل إعادة استخدام الفراغات الدّاخلية، ومع ذلك فإنّنا عند دراسة تاريخ الفراغات الدّاخلية نرى المصمم أو المستخدِم لها يتعامل مع النتاجات أكثر من تركيزه على الأفعال، وهكذا يظهر لنا تنوع في السّلوك الإنساني سواء كان سلوكاً إيجابياً أو سِلبياً (Norberg،1963).

و يضيف (Joedicke، 1985) أنّ الدّور الحقيقي للمصمم الدّاخلي أثناء القيام بإعادة الاستخدام للفراغ الدّاخلي هو استيعابه الكامل لمحتوياته وأبعاده وحاجة المُستخدم الفعلية له، وهذا يعني أنّ على المصمم الدّاخلي هنا معرفة أن عملية إعادة الاستخدام للفراغ الدّاخلي قد تظهر نتيجة لعدم حصول الاستيعاب الأوّلي لمقومات الفراغ من قِبَل المصمم السّابق للفراغ وقد يكون العكس.

أمّا من وجهة نظر (بونتا، 1965) يرى أن حصول ذلك

يعني عدم وجود وضوح وقوة التّواصل الاجتماعي والفكري بين المستخدم والفراغ والمصمم، وهذا يدفعنا للمقارنة مع ما يحصل في السّلوكيات المعاصرة وصيغ التّواصل الفكري بين المصمم الدّاخلي ومستخدِم الفراغ. وهذه النّظرة تتوافق مع فكرة أنّ نِتاج الفراغات الدّاخلية الماضية لا يعدو كونه بعض التّعبيرات أو الأعراض للقيم والصّفات الجوهرية للفكرة التّصميمية ويمكن للمصمم المعاصر أن يصل إلى نتاجات معاصرة تتحقق حاجة المستخدِم وتؤول عليه بالسّلوك الإيجابي.

كيف يتحقق السلوك في الفراغ الداخلي:

يُبيّن (Joedicke، 1985) أنّ استخراج الفكرة في تصميم الفراغات الدّاخلية لابدّ من الاستعانة بنظم قادمة من الواقع، أي بمعنى أن لها وجودها المعرّف وارتباطاتها النّظامية المسبقة الوجود من واقع المجتمع وسلوكياته، من ثمّ توظيف هذه النّظم أو عناصرها أو علاقاتها بطريقة تماثل علاقات في الصّافات والقيم الجوهرية للمفاهيم والأفكار، هذه النّظم في الفراغات هي بفئتين مترابطتين رئيستين وأنّ الفصل بينهما يأتي تحليلاً: 1- نظام المادة. 2- نظام الشّكل. أنظر إلى الشّكل (13) و(14).

الشّكل (13): خط الانتظار هو حيز مقروء من قبل المستخدِم أدّى إلى سلوك إيجابي. المصدر (Lawson,2001)

الشّكل (14): موقع هذه الكراسي هو حيز مقروء من قبل المستخدِم أدّى إلى سلوك سلبي حيث لم يجلس عليها أحد بسبب موقعها الخطأ. المصدر(Lawson,2001)

1. نظام المادة:

يشمل كل الخواص المادية للمواد الطّبيعية والمصنّعة وخواصها ومن ثمّ سلوكياتها البنّائية والهيئة الناتجة لتلك السّلوكيات، فلا فراغ داخلي يقوم دون مادة أو مواد، لها نُظُمِها الخاصّة بطبيعة كل منها ويشمل ذلك نوع التّقنيات الرّابطة لها. هذا النّظام يبدأ ينقسم إلى جزءين:

- **الجزء الأول:**

تظهر فيه تلك المواد والتّقنيات المرتبطة بمكان معين وبيئة محددة والتي بحكم استعمالاتها خرجت عن نطاق كونها نظاماً مادياً مجرداً فأصبح لها كيانات معنوية وأصبحت أشكالها تعكس مكونات طرز وتعبيرات في الفراغ الدّاخلي، وفي هذه الحالة عندما يلجأ المصمم إلى أي منها، تبدأ ارتباطاتها المعنوية تظهر في سلوك المستخدم للفراغ، سواء أكان ذلك مقصوداً أم لا من قبله وفي كلتا الحالتين عليه أن يتجاهل نوع المعاني المكتسبة لتلك المواد أو التّقنيات عبر الزّمن.

- **الجزء الثّاني:**

يمثل كل ما هو غير تلك المواد، بمعنى كل المواد الجديدة

والمصنّعة وتقنياتها أي النّظم البنائية، فهذه تصبح "وسائل" فقط تستعمل في انشاء الفراغات الدّاخلية وهذه المواد تشترك فيها الحياة المعاصرة لمجتمعات مختلفة وهي مشتركة بمعنى اشتراك الجميع في "عصر" حالي تقنياته ووسائل انتاجه (Joedicke، 1985).

2. نظام الشّكل:

ويمكن تقسيمه إلى أربعة أقسام:

- **القسم الأول:**

هو الشّكل النّابع من المادة وتقنيات ترابطها، وهذا الشّكل يعتبر كتحصيل حاصل عند استخدام تلك المواد وتقنياتها، ولكن يمكن أن يبقى شكلاً فقط عندما يؤخذ من المادة التي نجمت عنه ويستخدم كهيئة في مادة أخرى.

- **القسم الثاني:**

هو كل الأشكال غير المعمارية وغير البنائية وعندما يستخدم المصمم تلك الأشكال أو تجريداتها فإنه أساساً يقصد المعاني المرتبطة بالكيان الذي تمثله وارتباطاته المعنوية.

- **القسم الثالث:**

هو النظام الهندسي المجرد، وهذا هو القسم الوحيد الذي يكون الشّكل فيه مجرداً من الأصل إلّا من العلاقات الأساسية المكونة للنّظام وهو بهذه الحالة عالمي ومشترك.

- **القسم الرابع:**

وهو القسم الأخير من نظم الشّكل وهو تلك النّظم التي تمتلك علاقات نظامية من جراء تكرار استعمالها، وتصبح عندها مكونات النظام عناصر بحد ذاتها يمكن التعامل مع تحوير مقاييسها ونسبها والحذف والإضافة فيها.

التّصميم الدّاخلي وإعادة الاستخدام:

يبين (ال سعيد، 1994) أن إعادة الاستخدام في التّصميم تفسر عن ماهيته ونوعيته ووظيفته وأن يقرأ ذلك التصميم لدى مشاهدته، وذلك من خلال الوسيلة التي هي الفراغ ولغته، والعمل التّصميمي ما هو إلّا مجموعة لغات أو لغة منفردة والتي تختلف باختلاف الأنماط التّصميمية ودلالاتها الرّمزية، فلكلّ نمط لغة خاصة به، يحتوى على نظام يخاطب الوعي الأنساني ويؤثر على سلوكه.، لذا فإنّ هذه اللغة ترتبط بعلاقات عِدّة مع بعضها ويمكن توضيحها بالآتي:

أولاً: العلاقة بين الشّكل والمضمون:

ويُبيّن (رياض، 1974) أنّ المضمون هو جوهر العمل الفنّي، والشّكل هو مظهره الخارجي، ويستحيل أن نفصل بين الشّكل والمضمون، فهناك ارتباط وثيق بينهما، وقد يكتسب الشّكل معنى معيناً، وقد يختلف في قراءته عندما يُستخدم نمط آخر وذلك لأنّه بتغير المنظومة التي يُنظر إلى الشّكل ضمنها يتغير موقع الشّكل ومن ثمّ معناه، وترتيب آخر له قد لا يُفسر بشئ على الأطلاق، أو قد يختلف معنى الشكّل وفقاً للمكان والزّمان أو وفقاً لقدرة المتلقي الإدراكية في فهمه، فتتحول الرؤيا إلى تأمّل والتأمل إلى تفكير، والتّفكير إلى ترتيب وهذا التّرتيب هو الذي يصنفها إلى المعنى الذي تنتمي إليه.

ثانياً: العلاقة بين الشّكل والسّلوك:

عندما نمر خلال الأنماط المدركة للقوى، نجد أن بعض الأشياء والأحداث تتشابه فيما بينها، بينما يتشابه بعضها الآخر، فعيوننا وعلى أساس المظهر للأشياء الموجودة حولنا تجري تلقائيا نوعا معينا من السّلوك ويمكن أن يؤثر إعادة التّصميم على فهمنا للفراغ وعلى سلوكنا على النّحو التّالي (Rudolf، 1979):

1. تأثير تاريخي أو طرازي:

حيث يفهم المتلقي التّصميم من خلال ميراثه الحضاري والثقافي والاجتماعية... وبالمقابل لا يفهمها آخر لا يمتلك مثل هذا الخزين، وذلك لأن كلّ حقبة تاريخية تميزت بأنماط سيطرة معينة لكلّاً من الفكر والذّوق (الدّخان،2000). والمصمم البارع باستلامه للدلائل المادية فضلاً عن تاريخها يأخذ حذره عند اختيار النّماذج التي تحتوي على ثبات داخلي، إذ أنّ التّاثير الإيقاعي هو الهدف الرّئيس لكل التّكوينات الشّكلية (Stanle، 1990).

2. تأثير وظيفي:

حيث تصنف الأشكال بمعانيها الوظائفية ضمن أصناف رئيسة وثانوية، ويقصد هنا بالتّأثير الوظيفي هو إدراك كم من الأنماط المختلفة للشّكل والقائم على أساس تأثير من الصفات المظهرية له والمبادئ التّصميمية المنظّمة لمفرداته.

التّصميم الدّاخلي نظام للسّلوك الإنساني:

إن هذا السّلوك يتغير بوساطة النّظام الذي يتجلى فيه وهو نظام الشّكل، وبهذا فإن التّصميم هو كشف لردّة فِعل المستخدِم للفراغ ذو العلاقة التي تكوّن نظاماً مفرداً يشكّل السلوكّ (خضير،1991). وبما أنّ الشّكل يمتلك معاني عديدة فإنّ المشكلة هي المعنى المقصود الذي يعبّر عنه ذلك الشّكل، لأنّ هذه الأشكال تتحدث فقط بسبب موقعها ضمن منظومة معينة

أو بعبارة أُخرى، بسبب ما تُكوّن من علاقات تضاد أو تماثل أشكال راسخة أخرى، وبإزالة هذه الأشكال من سياقها، فإنّها لم تعُد تنقُل أي معنى وبوضعها ضمن سياق آخر فإنّها تعطي معنى آخر وهكذا (بونتا،1996).

ومن هنا يتّضح أنّ التّصميم لا يتكون من أشكال ومعانٍ فقط وإنّما تعمل جميعها ضمن منظومة ووفق نسق واحد لكي تكوّن الأشكال تصميماً ما. وإنّ أي تغير في موقع أو نسق هذه الأشكال يؤدي إلى تغيّر في فهمها وقرائتها ومن ثمّ تغيّر في سلوكنا.

وهكذا نستنتج بأنّ التّصميم الدّاخلي هو تنظيم العناصر في علاقات تلبّي حاجات وظيفية وجمالية، وإنّ أي تجزئة أو تغيير في هذه العلاقات يؤدّي إلى تغيير في تنظيم الفراغ مما ينتج عنه فراغ آخر مختلف عن سابقه ويؤثر على سلوك مستخدمه.

الاستنتاجات:

من خلال الأمثلة والتّحليلات والنّظريات السّابقة نستنتج الآتي:

1- وجود علاقة فعلية بين إعادة استخدام الفراغ الدّاخلي وبين السّلوك الإنساني وهذا يثبت صحة فرضية البحث.

2- عند البدء بعملية إعادة الاستخدام للفراغ الدّاخلي لا بد من إدراك الحاجة الفعلية للوظيفة لفهم لغته من حيث الأبعاد والحجم والتّوجيه.

3- إن قرائتنا للغة الفراغ لا تحتاج إلى علم ودراية مسبقة بعلوم التّصميم الدّاخلي من قبل المستخدّم له وغنما هي فهم تلقائي وفطري ينبع من الشّخص السّاكن فيه ولكن تختلف معالجتنا لإعادة استخدامه وهنا نحتاج فعلا الى علم ودراسة وافية لذلك.

4- هناك أثر واضح لإعادة استخدام الفراغ الدّاخلي فيمكن أن يكون إيجابي ويمكن أن يكون سلبي.

التّوصيات:

يوصي الباحث بناءً على استنتاجته لهذا البحث بالآتي:

1- ضرورة التّنسيق بين مستخدِم الفراغ الدّاخلي والمصمم في فهم لغة الفراغ للوصول لأفضل تصميم يساهم في انتاج سلوك إنساني سليم.

2- عمل دراسات تطبيقية على بعض الحالات المحلية في الأردن وخاصة الجامعات والمدارس التي قد ينتشر فيها بعض أنواع السلوكيات المنبوذة مثل العنف وغيرها للقضاء عليها من خلال التّصميم الدّاخلي الأفضل بما يتناسب مع ثقافة المستخدِم والبيئة التي يعيش فيها.

3- دراسة أثر الفوضى المنظمة النّاتجة عن إعادة استخدام الفراغ الدّاخلي من قبل المستخدم مثل عدم تجانس الألوان للأثاث والجدران والأرضيات في مناطق الرّيف في الأردن والذي يُعتقد أنّ له علاقة بهدوء الجو العام الذي يعيش فيه النّاس هناك.

4- متابعة دراسة هذا الموضوع بما يتعلق بنوع وجنس المستخدِم الأمر الّذي يعتقد الباحث أنه ذو علاقة وطيدة بينه وبين قراءة الفراغ الدّاخلي وأثره على السّلوك الإنساني.

المصادر والمراجع

إبراهيم، ز. (1976) مشكلة البنية، مصر، دار مصر للطباعة.

آل سعيد، ش. (1994) الحرية في الفن، لبنان، المؤسسة العربية للداراسات والنشر.

البزّاز، ع. (2001) التّصميم حقائق وفرضيات، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

بونتا، خ. (1996) العمارة وتفسيرها:(دراسة المنظومات التعبيرية في العمارة) بغداد، ترجمة سعاد عبد علي، دار الشؤون الثقافية العامّة.

خضير، ر. (1999) المعنى والتّعبير في تصميم البيئات الدّاخلية، العراق، اطروحة دكتوراه كلية الفنون الجميلة قسم التصميم جامعة بغداد.

الدّخان، أ. (2000) دراسة تحليلية في الزخرفة في العمارة، بحث من مجلة اتحاد الجامعات العربية.

رياض، ع. (1974) التّكوين في الفنون التّشكيلية، القاهرة، دار النهضة العربية.

شيرزاد، ش. (1985) مبادئ في الفن والعمارة، القاهرة، الدار العربية.

عدس، ع. (1998) علم النّفس التّربوي، عمان، دار الفكر للطباعة والنشر.

الشنّاوي، م. (1994) العملية الإرشادية، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر.

أبو عطية، س. (1997) مبادئ الإرشاد النفسي، عمّان، دار الفكر للطباعة والنشر.

أبو حميدان، ي. (2003) تعديل السلوك النظرية والتطبيق، عمّان، دار المدى للنشر والتوزيع.

Pearce M., Spiller N. (1995) "Architecture in Cyberspace in Architectural Design profile", A.D. No. 118, Vol65, NO. 11:12.

History", Architectural Design profile, St Martins.

Lawson B. (2001) "Language of Space", UK, architectural press.

Hall, E. T. (1966) "The Hidden Dimension (Anchor Books a Doubleday Anchor Book)", USA, library of congress.

Stanle, A. (1990) "A Philosophy of Interior Design", New York, Harper and Ron publishers.

Rudolf, A. (1979) "Arts and Visual Perception", USA, University of California press, prekely.

Joedicke, Jurgen (1985) "Space and Form In Architecture: A circumspect Approach to the past", USA, Karl Kramer.

Norberg, S. (1963) "Intention in Architecture", Rome, Allin and Unwin Ltd.

Porphyrios D. (1981) "On Methodology of Architectural

The Relation between Reuse of Internal Spaces and Human Behavior

Shereen Tabbalat *

ABSTRACT

This study investigates the relation between the reuse of internal spaces that is designed by users and the human behavior and psychologies. The researcher supposed that there is a real relation between reuse process and the human behavior depends on their needs, culture, and the built environment that they lives in. All those issues reflected as bad or good impact on the behavior of community including every one of it. This impact could be positive and make the people more creative or it could be negative and push people to be massive. Finally the researcher presents his conclusions and recommendations.

Keywords: Reuse, Internal spaces, Human Behavior, Language of Space, Personal Distance, and Social Distance.

* Faculty of Arts and Design, University of Jordan. Received on 26/11/2015 and Accepted for Publication on 6/1/2016.